128328 ـ هل يشترط الاقتراب من الشيخ في الدرس حتى تحصل فضيلة حضور مجالس العلم والذكر؟

السؤال

في مسجدنا تلقى بعض الدروس بين المغرب والعشاء وفي بعض الأحيان بعد العشاء ويقوم أحد الإخوة قبل الدرس بحثّ من في المسجد على الاقتراب من الشيخ على الرغم من أن الدرس يُلقى عبر مكبر الصوت ويمكن سماعه من أي مكان في المسجد فهل يشترط الاقتراب من المتحدث حتى يدخل الشخص في الوصف الذي جاء في الحديث : (.... حفتهم الملائكة وذكرهم الله في من عنده..) ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

الاجتماع على طاعة الله عز وجل كحضور مجلس علم ، أو اجتماع على تلاوة كتاب الله ، ونحو ذلك ، من أعظم أنواع البر .

فقد روى مسلم (2699) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ) .

قال السندي :

"(حَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ) أَيْ طَافُوا بِهِمْ وَأَدَارُوا حَوْلهمْ تَعْظِيمًا لِصَنِيعِهِمْ" انتهى .

وينبغي عند اجتماع المسلمين أن يحرصوا على التقارب وعدم التباعد ، إلا إذا وجد سبب يقتضي خلاف هذا .

وهكذا كانت مجالس الصحابة ، وهم حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا متقاربين ، وإذا جاء أحدهم فوجد فرجة سدها وجلس فيها ؛ فعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَهَبَ وَاحِدٌ . قَالَ : فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ . وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا . فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ ؟ : أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ) متفق عليه .

قال النووي :

" فِيهِ اِسْتِحْبَاب جُلُوس الْعَالِم لِأَصْحَابِهِ وَغَيْرهمْ فِي مَوْضِع بَارِز ظَاهِر لِلنَّاسِ , وَالْمَسْجِد أَفْضَل , فَيُذَاكِرهُمْ الْعِلْم وَالْخَيْر . وَفِيهِ جَوَاز حِلَق الْعِلْم وَالذِّكْر فِي الْمَسْجِد , وَاسْتِحْبَاب دُخُولهَا , وَمُجَالَسَة أَهْلهَا , وَكَرَاهَة الِانْصِرَاف عَنْهَا مِنْ غَيْر عُذْر , وَاسْتِحْبَاب الْقُرْب مِنْ كَبِير الْحَلْقَة لِيَسْمَع كَلَامه سَمَاعًا بَيِّنًا , وَيَتَأَدَّب بِأَدَبِهِ . وَأَنَّ قَاصِد الْحَلْقَة إِنْ رَأَى فُرْجَة دَخَلَ فِيهَا , وَإِلَّا جَلَسَ وَرَاءَهُمْ " انتهى .

وروى أبو داود (2628) عن أبي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيُّ رضي الله عنه قَالَ : كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْزِلًا تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنْ الشَّيْطَانِ) فَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلًا إِلَّا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى يُقَالَ لَوْ بُسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ . صححه الألباني في "صحيح أبي داود" .

وروى مسلم (430) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَآنَا حِلَقًا فَقَالَ : (مَالِي أَرَاكُمْ عِزِينَ) ؟

قال النووي :

قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا لِي أَرَاكُمْ عِزِينَ) أَيْ : مُتَفَرِّقِينَ جَمَاعَة جَمَاعَة , مَعْنَاهُ النَّهْي عَنْ التَّفَرُّق وَالْأَمْر بِالِاجْتِمَاعِ " انتهى .

قال الألباني رحمه الله :

"أي : تجمعوا ولا تتفرقوا بأبدانكم ، لا تتفرقوا بظواهركم ؛ فإن الظاهر عنوان الباطن ، والظاهر يؤثر في الباطن صلاحا أو فسادا" انتهى . http://www.alathar.net/esound/index.php?page=tadevi&id=161&coid=2366 - 35k –

وروى أحمد في الزهد (ص181) وأبو نعيم في "حلية الأولياء" (1 / 239) أن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه لما حضره الموت قال : "اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار ، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر" .

قال ابن عبد البر :

" معنى التزاحم بالركب في مجلس العالم الانضمام والالتصاق ينضم القوم بعضهم إلى بعض على مراتبهم " انتهى .

"التمهيد" (1 / 316) .

قال الشيخ الألباني رحمة الله :

"فمن أدب مجالس العلم التقارب بالأبدان ، حتى يكون ذلك تفاؤلا حسنا وسببا شرعيا لتقارب القلوب ، التي قد يكون بينها شيء من التنافر والاختلاف ، وذلك مما ينهى الشارع الحكيم عنه" انتهى .

-

وقال الشيخ أيضا :

" وجلوس الناس اليوم في حلق العلم متفرقين في المسجد غير متحلقين أيضا من الشيطان ، فينبغي على طلبة العلم التحلق في مجالس العلم " انتهى .

فهذه الأحاديث تدل على أن التقارب في مجالس العلم والذكر من السنة ؛ لتأثير ذلك إيجابا على تقارب القلوب وعدم تنافرها ، ولأن التقارب يجعل الشخص أكثر تأدباً بآداب المجلس ، وتركيزاً فيما يقال ، فلا يشغل نفسه بشيء آخر ، بخلاف التباعد الذي قد يفضي إلى الانشغال عن متابعة الدرس ، أو إمكانية الانصراف بسهولة فيحرم نفسه من الفائدة والخير .

ولكن ذلك ليس شرطا في حصول الفضيلة ، من غشيان الرحمة وتنزل السكينة وحضور الملائكة ، مادام في المجلس لم يخرج منه ، ولم ينشغل بغيره ، إلا أن التقارب أقرب للسنة ، وأتم في حصول الفضيلة ، وكل بحسب همته ونشاطه للمجلس ، وقد تقدم الحديث في الرجل الذي دخل إلى الفرجة التي في المجلس وجلس فيها فقال عنه النبي صلى الله عليه وسلم : (فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ) وفي الآخر الذي جلس خلف الحلقة ، قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم : (وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ) . فأثنى النبي صلى الله عليه وسلم على الرجلين ، غير أن الأول منهما أفضل .

فإن احتاج بعض الناس إلى التأخر للركون إلى سارية المسجد أو الجدار لضعف أو مرض ونحو ذلك فلا بأس ، مادام منصتا مصغيا .

وفق الله الجميع إلى ما يحب ويرضى .